مَعْنَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ (العَصْر/٢)

هُوَ جَوَابُ القَسَمِ؛ قَالَهُ **الزَّجَّاجُ**.

﴿**إِنَّ**﴾ حَرْفُ تَأْكِيدٍ، وَأَكَّدَهُ أَيْضًا بِحَرْفِ (اللَّامِ) فِي ﴿**لَفِي خُسْرٍ**﴾، أَيْ: فَهَذَا أَمْرٌ مُؤَكَّدٌ لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا مِرْيَةَ.

﴿**الإِنْسَانَ**﴾: (الْأَلِفُ وَاللَّامُ) فِي (الْإِنْسَانِ)؛ يُحْتَمَلُ:

أَنْ تَكُونَ **لِلْجِنْسِ**؛ بِمَعْنَىٰ: النَّاس.

وَأَنْ تَكُونَ **لِلْمَعْهُودِ السَّابِقِ** [أَوْ إِنْسَان مُعَيَّن].

فَلِهَذَا ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ فِيهِ قَوْلَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ **الْجِنْسُ**؛ أَيْ: النَّاس، وَهُوَ كَقَوْلِهِمْ: كَثُرَ الدِّرْهَمُ فِي أَيْدِي النَّاسِ؛ تُرِيدُ: الدَّرَاهِمَ، وَيَدُلُّ عَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ اسْتِثْنَاءُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْإِنْسَانِ.

وَالْقَوْلُ **الثَّانِي**: **الْمُرَادُ بِـ(الْإِنْسَانِ)**: **الْكَافِرُ**. قَالَ **ابْنُ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي رِوَايَةِ أَبِي صَالِحٍ: الْمُرَادُ بِهِ الكَافِرِ. أَوِ **الْمُرَادُ مِنْهُ شَخْصٌ مُعَيَّنٌ**، وَقِيلَ: **جَمَاعَةٌ مِنَ الْكُفَّارِ**؛ قَالَ **ابْنُ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي رِوَايَةِ الضَّحَّاكِ: يُرِيدُ جَمَاعَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ؛ كَالْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَالْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ، وَالْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

وَالْأَوَّلُ أَوْلَىٰ لِمَا فِي لَفْظِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْعُمُومِ وَلِدَلَالَةِ الِاسْتِثْنَاءِ عَلَيْهِ.

وَقَالَ **مُقَاتِلٌ**: نَزَلَتْ فِي أَبِي لَهَبٍ، وَقِيلَ: إِنَّهُ أَبُو جَهْلٍ.

وَرُوِيَ أَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا لَفِي خُسْرٍ، فَأَقْسَمَ تَعَالَىٰ أَنَّ الْأَمْرَ بِالضِّدِّ مِمَّا تَوَهَّمُونَ؛ فَهُمُ الَّذِينَ فِي خُسْرٍ.

أَيْ: فَـ(الإِنْسَانُ) هَذَا النَّوْعُ الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ الأَنْوَاعِ لِكَوْنِهِ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ؛ كَمَا أَنَّ (العَصْرَ) خُلَاصَةُ الزَّمَانِ، وَ(العَصْرَ) يَكُونُ لِاسْتِخْرَاجِ خُلَاصَاتِ الأَشْيَاءِ.

فَـ(الإِنْسَانُ) إِذَا لَمْ يَسْتَعْمِلْ نَفْسَهُ وَعُمُرَهُ فِيمَا يُوجِبُ لَهُ الرِّبْحَ الدَّائِمَ، فَهُوَ فِي (خُسْرَانٍ)، لأَنَّهُ عَمِلَ فِي إِهْلَاكِ نَفْسِهِ وَعُمُرِهِ، وَهُمَا أَكْبَرُ رَأْسِ مَالِهِ.

- وَلَـمَّا كَانَ الحُكْمُ عَلَى الجِنْسِ حُكْمًا عَلَى الكُلِّ لأَنَّهُمْ لَيْسَ لَـهُمْ مِنْ ذَوَاتِهِمْ إِلَّا ذَلِكَ، وَكَانَ فِيهِمْ مَنْ خَلَّصَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِمَّا طُبِعَ عَلَيْهِ الإِنْسَانُ بِجَعْلِهِ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، وَحَفِظَهُ عَنِ المَيْلِ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ النَّقَائِصِ، اسْتَثْنَاهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لأَنَّهُمْ قَلِيلٌ جِدًّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَهْلِ الخُسْرِ؛ فَقَالَ دَالًّا بِالاِسْتِثْنَاءِ عَلَى أَنَّ النُّفُوسَ دَاعِيَةٌ إِلَى الشَّرِّ مُخْلِدَةٌ إِلَى البَطَالَةِ وَاللَّهْوِ، فَالمُخَلَّصُ وَاحِدٌ مِنْ أَلْفٍ؛ كَمَا فِي الحَدِيثِ عَنِ الحَسَنِ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ:(١) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ (الحج/١)، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ (الحج/٢)، قَالَ: أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الآيَةُ وَهُوَ فِي سَفَرٍ؛ فَقَالَ: «**أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ ذَلِكَ؟**» فَقَالُوا: وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**ذَلِكَ يَوْمَ يَقُولُ اللهُ لِآدَمَ: ابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: تِسْعُ مِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ إِلَى النَّارِ وَوَاحِدٌ إِلَى الجَنَّةِ**». قَالَ: فَأَنْشَأَ المُسْلِمُونَ يَبْكُونَ؛ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، فَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ قَطُّ إِلاَّ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهَا جَاهِلِيَّةٌ**، قَالَ: **فَيُؤْخَذُ العَدَدُ مِنَ الجَاهِلِيَّةِ فَإِنْ تَمَّتْ وَإِلاَّ كَمُلَتْ مِنَ المُنَافِقِينَ، وَمَا مَثَلُكُمْ وَالأُمَمِ إِلاَّ كَمَثَلِ الرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ أَوْ كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ البَعِيرِ**». ثُمَّ قَالَ: «**إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ**». فَكَبَّرُوا؛ ثُمَّ قَالَ: «**إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ**

---

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (ح ٣١٦٨)، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ". وَالنَّسَائِيُّ فِي الكُبْرَى؛ كَمَا فِي تُحْفَةِ الأَشْرَافِ (٨/ ١٠٨٠٢)، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ (٤/ ٤٣٢، ٤٣٥)، وَالحُمَيْدِيُّ (ح ٨٣١). وَفِيهِ إِرْسَالٌ.

الجَنَّةِ». فَكَبَّرُوا، ثُمَّ قَالَ: «إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ». فَكَبَّرُوا، قَالَ: وَلاَ أَدْرِي؟ قَالَ: الثُّلُثَيْنِ أَمْ لاَ؟.

❁❁❁❁❁

وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: يَجِبُ أَنَّ نَتَعَامَلَ مَعَ (الإِنْسَانِ) عَلَىٰ أَنَّهُ (إِنْسَانٌ)؛ بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ هُوِيَّتِهِ وَعَقِيدَتِهِ وَدِينِهِ! وَأَنْ لاَ نُفَرِّقَ بَيْنَ البَشَرِ فِي أَيِّ مَكَانٍ.

وَيُرَدِّدُونَ كَثِيرًا لَفْظَ (الإِنْسَان) بِصِيغَةٍ مُطْلَقَةٍ بِدُونِ إِضَافَاتٍ تُقَيِّدُ أَوْ تُخَصِّصُ، وَيَرْفَعُونَ شِعَارَاتٍ؛ مِثْل: "الأُخُوَّة الإِنْسَانِيَّة"، أَوْ .. "الآدَمِيَّة المُشْتَرَكَة"، أَوْ "المَذْهَب الإِنْسَانِيّ"، وَنَحْوِهَا مِنَ اللاَّفِتَاتِ البَرَّاقَةِ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَ هَذَا المَعْنَىٰ. .. كَمَا يُنَادُونَ بِـ(أَنْسَنَةِ[1] العَلاَقَاتِ) بَيْنَ البَشَرِ!

فَهُنَاكَ مَا يُسَمَّىٰ: بنَزْعَةِ (إِنْسَانِيَّة humanism)، وَهِيَ مَذْهَبٌ فَلْسَفِيٌّ مَادِيٌّ لاَ دِينِيّ، وَهِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ كَلِمَةِ (إِنْسَان)، وَقَدِ اكْتَسَبَتْ مِنِ اسْتِعْمَالِهَا مَعَ الأَيَّامِ مَجْمُوعَةً مِنَ المَعَانِي صَارَ بِهَا ذَلِكَ الإِنْسَانُ (إِنْسَانًا)؛ حَتَّىٰ إِنَّ (العَامَّةَ) تَقُولُ: إِنَّ فُلاَنًا رَجُلٌ (إِنْسَانٌ)؛ أَيْ: يَتَّصِفُ بِصِفَاتِ (الإِنْسَانِ الحَقِّ)؛ صِفَات تَجْعَلُهُ أَهْلاً لِحَمْلِ ذَلِكَ الوَصْفِ.

وَهَذِهِ النَّزْعَةِ الْـ(إِنْسَانِيَّة humanism) كَانَتْ تَرْجَمَةً لِلاِنْتِفَاضَةِ الَّتِي عَبَّرَتْ عَنْهَا (النَّهْضَةُ الأُورُوبِيَّةُ) تَغْيِيرًا فِي الفِكْرِ مِمَّا نَجَمَ عَنْهُ تَغَيُّرٌ فِي جَمِيعِ شُؤُونِ الحَيَاةِ؛ ضِدَّ قُيُودِ الكَنِيسَةِ وَالطَّاعَةِ العَمْيَاءِ لِرِجَالِ الدِّينِ وَأَنْ يُسَاقَ كَمَا يُسَاقُ القَطِيعُ، وَكُلُّ مَنْ خَرَجَ عَلَىٰ

---

(١) أَنْسَنَ، يُؤَنْسِن، أَنْسَنَةً؛ فَهُوَ: (مُؤَنْسِنٌ)، وَالمَفْعُولُ: (مُؤنْسَنٌ):
(أَنْسَنَ الإِنْسَانَ): ارْتَقَى بِعَقْلِهِ؛ فَهَذَّبَهُ وَثَقَّفَهُ، أَوْ: عَامَلَهُ كَإِنْسَانٍ لَهُ عَقْلٌ يُمَيِّزُهُ عَنْ بَقِيَّةِ المَخْلُوقَاتِ؛ فَيُقَالُ: "لاَبُدَّ مِنْ تَثْقِيفِ المُوَاطِنِ وَأَنْسَنَتِهِ لِلرُّقِيِّ بِهَذَا المُجْتَمَعِ". وَ(أَنْسَنَ الحَيَوَانَ): شَبَّهَهُ بِالإِنْسَانِ.

هَذَا كَانَ يُوَاجِهُ المَوْتَ حَرْقًا؛ وَذَلِكَ طُوَال فِتْرَةِ الإِظْلاَمِ الفِكْرِيِّ المُسَمَّاةِ بـ(العُصُورِ الوُسْطَىٰ) وَالَّتِي اسْتَطَالَتْ إِلَىٰ أَكْثَرَ مِنْ عَشَرَةِ قُرُونٍ.

وَهَذِهِ (**الإِنْسَانِيَّة**) هِيَ اتِّجَاهٌ فِكْرِيٌّ عَامٌّ تَشْتَرِكُ فِيهِ العَدِيدُ مِنَ المَذَاهِبِ الفَلْسَفِيَّةِ وَالأَدَبِيَّةِ وَالأَخْلاَقِيَّةِ وَالعِلْمِيَّةِ، وَقَدْ ظَهَرَتْ في (إِيطَالْيَا) في بدَايَةِ عَصْرِ النَّهْضَةِ الأُورُوبِيَّةِ، وَمِنْهَا انْتَشَرَتْ إِلَىٰ عُمُومِ أُورُوبَّا وَإِلَىٰ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ، وَمُعْظَمُ سَلْبِيَّاتِ المَدَنِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ الحَاضِرَةِ تُعْتَبَرُ ثَمَرَةً مِنْ ثِمَارِهَا. وَقَدْ ظَهَرَتْ هَذِهِ الحَرَكَةُ وَانْتَشَرَتْ في أَوْسَاطِ الأُدَبَاءِ وَالفَنَّانِينَ وَالمُثَقَّفِينَ عُمُومًا في القَرْنِ السَادِس عَشَرَ (عَصْر النَّهْضَةِ)، وَتَمَيَّزَتْ بالرُجُوعِ إِلَىٰ النُّصُوصِ الكِلاَسِيكِيَّةِ القَدِيمَةِ (الإِغْرِيقِيَّة وَالرُّومَانِيَّة)؛ لِتَسْتَمِدَّ مِنْهَا مَنَاهِجَهَا وَفَلْسَفَتَهَا[1].

وَكَانَتْ تُدَافِعُ عَنْ (**حُرِّيَّةِ الفَرْدِ**)، وَتَدْعُو إِلَىٰ إِعَادَةِ الكَرَامَةِ إِلَىٰ (**القِيمَةِ الإِنْسَانِيَّةِ**)، وَأَنْ تَتَّجِهَ الغَايَةُ البَشَرِيَّةُ والمُجْتَمَعِيَّةُ نَحْوَ (الحُرِّيَّةِ الإِنْسَانِيَّةِ وَالفَرْدِيَّةِ)، وَالثِّقَةِ بطَبِيعَةِ الإِنْسَانِ وَقَابِلِيَّتِهِ لِلْكَمَالِ، وَإِمْكَانِ حُدُوثِ التَّقَدُّمِ المُسْتَمِرِّ.

وَكَانَتْ تَدْعُو إِلَىٰ قَصْرِ الاِهْتِمَامِ الإِنْسَانِيِّ عَلَىٰ (المَظَاهِرِ المَادِّيَّةِ) لِلإِنْسَانِ في الزَّمَانِ وَالمَكَانِ، وَتَحْرِيرِهِ مِنْ سُلْطَةِ أَيِّ دِينٍ.

وَكَانَتْ تُرَجِّحُ (التَّفْكِيرَ العَقْلاَنِيَّ)، وَشِدَّةَ الاعْتِمَادِ عَلَىٰ الفِعْلِ، وَتَغْلِيبَ وِجْهَةِ النَّظَرِ المَادِّيَّةِ، وَأَكَّدَتْ عَلَىٰ تَفَوُّقِ الإِنْسَانِ بذَاتِهِ وَلَيْسَ عَنْ طَرِيقِ القُوَىٰ الَّتِي لاَ تَخْضَعُ لِتَحَكُّمِ

(١) فَالأَسْبَابُ ذَاتِيَّةٌ لاَ مَوْضُوعِيَّة.

العَقْلِ[١]، فَضْلاً عَنِ انْغِمَاسِ الإِنْسَانِ بالمَادَّةِ في بدَايَتِهِ، وَحُبّ اكْتِنَازِ المَالِ وَالثَّرَوَاتِ، وَالاسْتِمْتَاعِ بالحَيَاةِ الزَّائِلَةِ[٢].

وَالتَّأْكِيد عَلَىٰ أَنَّ الشُّرُورَ وَالنَّقَائِصَ الَّتِي اعْتَرَضَتِ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ سَبَبُهَا (**الخَطِيئَةُ الأُولَى لآدَمَ**) كَمَا تُقَرِّرُ **النَّصْرَانِيَّةُ** ذَلِكَ[٣]، وَإِنَّمَا كَانَ سَبَبُهَا النِّظَامَ الاجْتِمَاعِيَّ السَّيِّءَ[٤].

وَتَأْيِيد فِكْرَةِ ظُهُورِ الدُّوَلِ القَوْمِيَّةِ وَالوَطَنِيَّةِ وَالمَحَلِّيَّةِ، وَلَكِنَّهَا تَأْبَىٰ العُنْصُرِيَّةَ[٥]؛ لأَنَّهَا امْتِهَانٌ صَارِخٌ لِبَقِيَّةِ العَوَامِلِ المُشَكِّلَةِ لِلنَّسِيجِ الإِنْسَانِيِّ الشَّامِلِ، وَلِذَلِكَ أَوْحَتْ هَذِهِ الحَرَكَةُ (**الإِنْسَانِيَّة**) بالأَفْكَارِ التَّحَرُّرِيَّةِ لِقَادَةِ الفِكْرِ في عَصْرِ النَّهْضَةِ الأُورُوبِّيَّةِ وَوَصَلَ إِلَىٰ ذِرْوَتِهِ إِبَانَ الثَّوْرَةِ الفَرَنْسِيَّةِ.

وَتُؤْمِنُ هَذِهِ الحَرَكَةُ بِإِمْكَانِ مَجِيءِ العَصْرِ السَّعِيدِ وَالفِرْدَوْسِ الأَرْضِيِّ؛ وَيَكُونُ ذَلِكَ بالرَّخَاءِ الاقْتِصَادِيِّ[٦]، وَتَحْقِيقِ ذَلِكَ بتَبْدِيدِ وَنَبْذِ الخُرَافَاتِ وَالأَوْهَامِ[٧]، وَنَشْرِ التَّرْبِيَةِ العَمَلِيَّةِ[٨].

---

(١) أَيْ: رَفْض الوَحْيِ وَالنُّصُوصِ المُقَدَّسَةِ، لَا رَفْض الإِضَافَاتِ وَالتَّفْسِيراتِ البَشَرِيَّةِ فَقَطْ.

(٢) وَلْيَنْظُرْ أَحَدُنَا إِلَى لَـهْثِ هَؤُلاَءِ فِي المَلَذَّاتِ، لاَ يُبَالُونَ وَلاَ يَرْفَعُونَ رَأْسًا بطَيِّبَاتِهَا مِنْ خَبَائِثِهَا، وَلَمْ يَسْتَعِدُّوا لِلِقَاءِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ؛ كَمَا قَالَ اللهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ (مُحَمَّدٍ/ ١٢).

(٣) عَلَى غَيْرِ مَا عِنْدَ المُسْلِمِينَ وَاليَهُودِ.

(٤) فَالإِنْسَانُ وَالنِّظُمُ الاِجْتِمَاعِيَّةُ الَّتِي أَحْدَثَهَا هِيَ السَّبَبُ المُبَاشِرُ فِي الشُّرُورِ فِي العَالَمِ.

(٥) أَيْ: تَمْيِيز جِنْسٍ عَلَى جِنْسٍ، أَوْ نَوْعٍ عَلَى نَوْعٍ، أَوْ عِرْقٍ عَلَى عِرْقٍ.

(٦) فَهَذَا هُوَ مِعْيَارُ السَّعَادَةِ عِنْدَهُمْ.

(٧) يَقْصِدُونَ: نَبْذَ الدِّينِ.

(٨) المَادِّيَّات.

وَاحْتَوَتْ هَذِهِ الحَرَكَةُ عَلَى الفِكْرِ اليُونَانِيِّ وَاللاَّتِينِيِّ الوَثَنِيِّ المُعَارِضِ لِلْفِكْرِ الدِّينِيِّ، وَمِنْ هُنَا كَانَ شِعَارُ (**الإِنْسَانِيَّةِ**) كَلِمَةَ الفَيْلَسُوفِ اليُونَانِيِّ القَدِيمِ "**إِنَّ الإِنْسَانَ مِقْيَاسٌ لِلأَشْيَاءِ جَمِيعِهَا**".

وَهُوَ مَذْهَبٌ (**لَا دِينِيّ**) عَلَى الصَّعِيدِ العَقَدِيِّ؛ يُؤَكِّدُ فَرْدِيَّةَ الإِنْسَانِ ضِدَّ الدِّينِ، وَيُغَلِّبُ وُجْهَةَ النَّظَرِ المَادِّيَّةِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَهُوَ مِنْ أُسُسِ فَلْسَفَةِ "كُونْت" الوَضْعِيَّةِ[1]، وَفَلْسَفَةِ "**بْتْنَام**" النَّفْعِيَّةِ، وَكِتَابَاتِ "**بْرْتِرَانْد رَاسِل**" الإِلحَادِيَّةِ[2].

أَمَّا عَلَى **الصَّعِيدِ العَمَلِيِّ** الوَاقِعِيِّ المُؤَثِّرِ بِصُورَةٍ مَلْمُوسَةٍ فِي أُسْلُوبِ سُلُوكِ الفَرْدِ؛ فَقَدْ مَنَّى الإِنْسَانَ بِأَمَانٍ كَاذِبَةٍ لَمْ تَتَحَقَّقْ عَلَى الإِطْلاَقِ، وَنَسِيَ أَنَّ طَرِيقَ الخَلاَصِ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَتِمَّ إِلاَّ مِنْ خِلاَلِ خَاتِمِ الأَدْيَانِ [الإِسْلاَمِ].

فَـ(**الإِسْلاَمُ**) هُوَ الَّذِي قَدْ كَرَّمَ الإِنْسَانَ، وَتَعَالِيمُهُ كُلُّهَا (**إِنْسَانِيَّةٌ**)؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ (الإِسْرَاء/٧٠)؛ وَلَكِنْ مَنِ اخْتَارَ مِنَ النَّاسِ الكُفْرَ فَلاَ يَسْتَحِقُّ هَذَا التَّكْرِيمَ؛ قَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ (البَيِّنَة/٦).

وَقَدْ خَاطَبَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الإِنْسَانَ مُنَادِيًا أَكْرَمَ مَا فِي كِيَانِهِ وَهُوَ إِنْسَانِيَّتُهُ الَّتِي تَمَيَّزَ بِهَا عَنْ سَائِرِ الأَحْيَاءِ؛ فَهُوَ أَكْرَمُ مَنْ خَلَقَ اللهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾ (الانفِطَار/٦)، وَجَعَلَ الإِنْسَانَ القَوِيمَ الصَّالِحَ هُوَ ذَلِكَ الشَّخْصُ الَّذِي

---

(١) وَتَقُومُ عَلَى وَصْفٍ تَطَوُّرِيٍّ لِلتَّارِيخِ مِنْ ثَلاَثَةِ مَرَاحِل: اللاَّهُوتِيَّة، المِيتَافِيزِيقِيَّة، الوَضْعِيَّة أَوِ العِلْمِيَّة.

(٢) وَقَدْ أَفْرَطَ فِي هُجُومِهِ عَلَى الدِّينِ، وَأَنَّهُ شَرٌّ.

يَتَّسِمُ بالعَقْلِ وَالعِلْمِ وَالإِيمَانِ وَالعَمَلِ، وَهَذَا كُلُّهُ شَيْءٌ عَظِيمٌ فِي جَوْهَرِهِ وَفِي أَثَرِهِ، وَلِهَذَا فَهُوَ مَسْؤُولٌ مُحَاسَبٌ عَلَىٰ مَايَفْعَلُ مُجَازًى عَلَىٰ مَا يَفْعَلُ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾ (القِيَامَة/ ١٤).

وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَضَعَ ذَلِكَ فِي إِطَارٍ صَحِيحٍ إِذَا تَفَهَّمْنَا حَاجَاتِ (الفَرْدِ) وَ(الجَمَاعَةِ)، وَرَكَّزْنَا عَلَىٰ العُنْصُرِ البَشَرِيِّ أَكْثَرَ مِنَ التَّرْكِيزِ عَلَىٰ الجَوَانِبِ المَادِّيَّةِ، وَسَعَيْنَا إِلَىٰ إِشْبَاعِ الحَاجَاتِ الفَرْدِيَّةِ فِي ضَوْءِ المَصَالِحِ العَامَّةِ وَالأَهْدَافِ وَالغَايَاتِ المَشْرُوعَةِ، وَعَمِلْنَا عَلَىٰ إِثَارَةِ الدَّوَافِعِ الفَرْدِيَّةِ بِهَدَفِ الإِنْتَاجِ وَالتَّنْظِيمِ؛ فِي جَوٍّ يَسُودُهُ التَّفَاهُمُ وَالثِّقَةُ المُتَبَادَلَةُ، فَرِضَاءُ الأَفْرَادِ وَارْتِيَاحُهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ إِنَّمَا هُوَ نَتِيجَةٌ لِلشُّعُورِ بِالتَّقْدِيرِ وَالشُّعُورِ بِالانْتِمَاءِ وَالمُشَارَكَةِ. [**فَهِيَ فَلْسَفَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ يَعِيشُ فِيهَا الفَرْدُ لِلْحَيَاةِ؛ وَلاَ آخِرَة**]

❁❁❁❁❁

وَقَدْ وُجِّهَتْ لِهَذِهِ الحَرَكَةِ العَدِيدُ مِنَ الانْتِقَادَاتِ؛ مِنْهَا:

- لاَ يُوجَدُ أَصْلاً دَوْلَةٌ مِنَ الدُّوَلِ -اليَوْمَ- شَرْقِيِّهَا وَغَرْبِيِّهَا تَعْمَلُ لِلإِنْسَانِ المُطْلَقِ، بَلْ تَجِدُهَا تُمَيِّزُ فِي الجِنْسِ الإِنْسَانِيِّ إِمَّا عَلَىٰ أَسَاسٍ وَطَنِيٍّ أَوْ قَوْمِيٍّ أَوْ عِرْقِيٍّ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ المَقَايِيسِ، فَكَيْفَ نَتَقَبَّلُ تَمْيِيزَ هَذِهِ الأُمَمِ بَيْنَ مُوَاطِنِهَا وَغَيْرِ مَوَاطِنِهَا[1]، وَلاَ نَقْبَلُ تَمْيِيزَ اللهِ بَيْنَ المُسْلِمِ وَالكَافِرِ؟!

- البَشَرُ -إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ- وَجَّهُوا اهْتِمَامَاتِهِمْ كُلَّهَا إِلَىٰ المَسَائِلِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَتَرَكَّزَتْ أَطْمَاعُهُمْ فِي الأَشْيَاءِ الزَّائِلَةِ الَّتِي يَسَّرَهَا لَهُمُ العِلْمُ، فَحَدَثَ تَقَدُّمٌ لِلإِنْسَانِ مِنَ النَّاحِيَةِ المَعْرِفِيَّةِ مَعَ تَرَاجُعٍ أَخْلاَقِيٍّ.

---

(١) لاَ نَنْسَى كَيْفَ هَاجَ (اللِّيبْرَالِيُّونَ) عِنْدَمَا رَفَعَ مُسْلِمٌ مِصْرِيٌّ فِي مَيْدَانِ (التَّحْرِيرِ) -عَلَى سَبِيلِ الخَطَأِ وَالجَهْلِ- عَلَمَ السُّعُودِيَّةِ الأَخْضَرِ؛ لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ)!!!

- الأُسُسُ الأَخْلاَقِيَّةُ وَالآدَابُ لاَ تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ قَاصِرَةً عَلَىٰ الخُضُوعِ لِلْمُوَاءَمَةِ بَيْنَ الإِنْسَانِ وَبِيئَتِهِ كُلَّمَا تَغَيَّرَتِ الظُّرُوفُ وَتَبَدَّلَتِ الأَحْوَالُ؛ فَإِنَّهَا بِذَلِكَ تَفْقِدُ قِيمَتَهَا العَامَّةَ، وَلَكِنْ لاَبُدَّ أَنْ تَسْتَنِدَ إِلَىٰ الاعْتِقَادِ بِوُجُودِ نِظَامٍ أَسْمَىٰ مِنَ النِّظَامِ المَادِّيِّ الدُّنْيَوِيِّ، وَالإِيمَانِ بِالمَبَادِئِ الخَالِدَةِ المُطْلَقَةِ.

وَلَنْ تَرْتَفِعَ الأَخْلاَقُ وَتَسْمُو إِلاَّ مِنْ خِلاَلِ (وَحْيِ اللهِ) الحَقِّ، أَمَّا (الآدَابُ العَلْمَانِيَّةُ) فَلاَ يُمْكِنُ أَنْ تَبْلُغَ ذَلِكَ!

❁❁❁❁❁❁

وَالوَاقِعُ أَنَّ هَذِهِ (الدَّعْوَةَ) -وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ يُرَدِّدُهَا بِحُسْنِ نِيَّةٍ- إِلاَّ أَنَّهَا مُصَادِمَةٌ لأُصُولِ الوَحْيِ الإِلَهِيِّ، وَتَضْمُرُ سَلْخَ الأَوْصَافِ القُرْآنِيَّةِ القَطْعِيَّةِ الَّتِي مَيَّزَ ُ عَلَىٰ أَسَاسِهَا بَيْنَ النَّاسِ وَفَاوَتَ فِي العَلاَقَاتِ بَيْنَهُمْ طِبْقًا لِلتَّفَاوُتِ فِيهَا؛ كَوَصْفِ: (المُؤْمِنِ) وَ(المُسْلِمِ) وَ(الفَاسِقِ) وَ(الكَافِرِ) وَ(المُشْرِكِ) وَ(المُنَافِقِ). ... وَوَضْعَ هَؤُلاَءِ جَمِيعًا فِي مَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ بِنَاءً عَلَىٰ اشْتِرَاكِهِمْ فِي (الإِنْسَانِيَّةِ) لِيُصْبِحَ (المُسْلِمُ) وَ(اليَهُودِيُّ) وَ(النَّصْرَانِيُّ) وَ(الوَثَنِيُّ) وَ(المُلْحِدُ) عَلَىٰ حَدٍّ سَوَاءٍ؛ لاَ فَرْقَ بَيْنَهُمْ [فَلاَ فَرْق بَيْنَ (نَحْنُ) وَ(هُمْ)] طَالَمَا أَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ لِسَعَادَةِ (الإِنْسَانِيَّةِ) وَ(السَّلاَمِ) البَشَرِيِّ!

فَهَذَا قَوْلٌ بَاطِلٌ يُصَادِمُ المِيزَانَ الإِلَهِيَّ فِي كِتَابِهِ تَعَالَىٰ!!!

فَلاَبُدَّ مِنَ التَّنَبُّهِ إِلَىٰ أَنَّ الشَّرِيعَةَ لَمْ تَأْتِ بِالمَدْحِ وَالتَّعْظِيمِ المُطْلَقِ لِـ(الإِنْسَانِ) كَمَا يَتَوَهَّمُ بَعْضُهُمْ؛ بَلْ إِنَّ اللهَ بَيَّنَ فِي القُرْآنِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ ذَمَّ (الإِنْسَانِ) إِذَا فَقَدَ شَرَفَ الإِيمَانِ بِاللهِ؛ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ (عبس/ ١٧)، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ (إبْرَاهِيم/ ٣٤)، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ

ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾ (الحج/ ٦٦)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ (الإسْرَاء/ ٦٧)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ (الزُّخْرُف/ ١٥)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾ (الشُّورَى/ ٤٨)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ (العَادِيَات/ ٦، ٨)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾ (النَّحْل/ ٤)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾ (يس/ ٧٧)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ (الإسْرَاء/ ١١)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ (الكَهْف/ ٥٤)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾ (العَلَق/ ٦- ٨).

وَقَدْ وَضَعَ اللهُ قَوَاعِدَ لِذَلِكَ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ (طه/ ١٢٤)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ (الأعْرَاف/ ٩٦)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾

رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ (المُؤْمِنُون/ ١٠٣- ١١١).

وَمَنْ تَدَبَّرَ المَوَاضِعَ القُرْآنِيَّةَ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا مَفْهُومَ (الإِنْسَانِ)؛ وَجَدَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يَذُمُّ جِنْسَ (الإِنْسَانِ) بِمَذَامٍ مُتَنَوِّعَةٍ، ثُمَّ يَسْتَثْنِي مِنْ عُمُومِ هَذَا الذَّمِّ أَهْلَ الإِيمَانِ؛ وَمِنْ ذَلِكَ:

فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَقْسَمَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ (سُورَة العَصْر) عَلَىٰ أَنَّ (الإِنْسَانَ) فِي خِسَارَةٍ تَامَّةٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾﴾، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِاسْتِثْنَاءِ أَهْلِ الإِيمَانِ مِنْ هَذِهِ الخَسَارَةِ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾﴾.

وَذَمَّ جِنْسَ (الإِنْسَانِ) بِصِفَةِ الهَلَعِ وَالجَزَعِ وَالشُّحِّ، ثُمَّ اسْتَثْنَىٰ أَهْلَ الإِيمَانِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ (المَعَارِج/ ١٩-٢٢).

وَذَمَّ جِنْسَ (الإِنْسَانِ) بِصِفَةِ القُنُوطِ وَالجُحُودِ وَالبَطَرِ، ثُمَّ اسْتَثْنَىٰ أَهْلَ الإِيمَانِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ﴿٩﴾ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١١﴾﴾ (هُود/ ٩- ١١).

وَذَمَّ جِنْسَ (الإِنْسَانِ) بِصِفَةِ الظُّلْمِ وَالجَهْلِ، ثُمَّ أَعْقَبَ ذَلِكَ بالتَّمْيِيزِ التَّفْصِيلِيِّ فِي جِنْسِ هَذَا (الإِنْسَانِ) الظَّلُومِ الجَهُولِ عَلَى أَسَاسِ المَوْقِفِ الدِّينِيِّ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ (الأحزاب/ ٧٢).

وَهَذَا المَعْنَى المُتَضَمِّنُ ذَمَّ جِنْسِ (الإِنْسَانِ) ثُمَّ اسْتِثْنَاءَ أَهْلِ الإِيمَانِ؛ لَهُ نَظَائِرُ كَثِيرَةٌ فِي كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ (التين/ ٤- ٦)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ۖ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ (الإسراء/ ٨٣- ٨٤).

بَلْ إِنَّ اللهَ هَدَّدَ (الإِنْسَانَ) تَهْدِيدًا مُدَوِّيًا؛ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ (الانفطار/٦- ٨).

وَلِذَلِكَ لَمَّا سَمِعَ الخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ **عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ** رضي الله عنه رَجُلاً يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ؛ قَالَ: (غَرَّهُ -وَاللهِ- جَهْلُهُ)، وَالوَاضِحُ أَنَّ عُمَرَ رضي الله عنه اسْتَنْبَطَ هَذَا المَعْنَى مِنَ الآيَاتِ الَّتِي وَصَفَتِ (الإِنْسَانَ) بالجَهْلِ؛ كَمَا سَبَقَتِ الإِشَارَةُ لِبَعْضِهَا.

فَكَيْفَ يُقَالُ -بَعْدَ ذَلِكَ- أَنَّ اللهَ كَرَّمَ (الإِنْسَانَ) وَفَضَّلَ (الإِنْسَانَ) عَلَى الإِطْلَاقِ بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ هُوِيَّتِهِ الدِّينِيَّةِ؟ وَأَنَّ الأَدْيَانَ لاَ تُؤَثِّرُ فِي كَرَامَةِ الإِنْسَانِ إِيجَابًا وَلاَ سَلْبًا؟ وَأَنَّنَا يَجِبُ أَنْ نَعْمَلَ لِمَفْهُومِ (الإِنْسَانِ) بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ دِينِهِ وَعَقِيدَتِهِ؟ أَوْ قَوْلُ بَعْضِهِمْ: لاَ تَجْعَلُوا الرَّأْيَ الشَّخْصِيَّ -وَلَوْ كَانَ كُفْرًا- يُفَرِّقُ بَيْنَ أَبْنَاءِ آدَمَ!!!

أَلَيْسَ فِي ذَلِكَ مَشَاقَّةٌ لِكَلَامِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الصَّرِيحِ؟